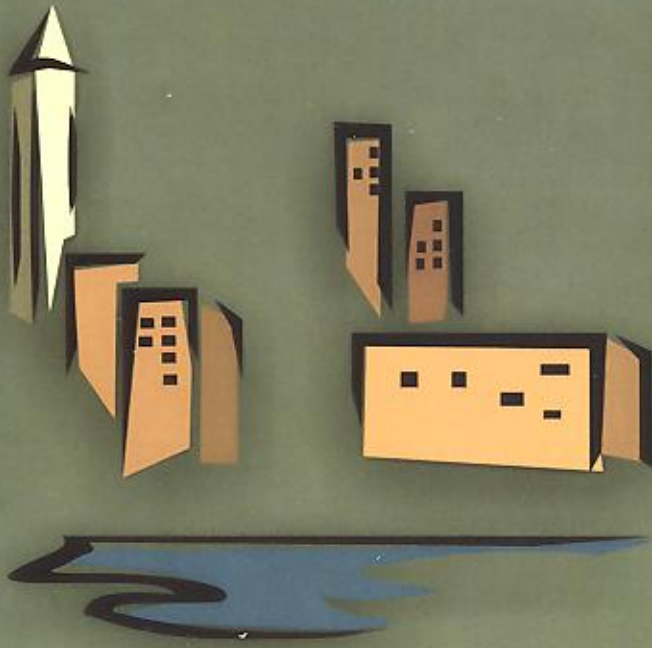


خالق تصميمان

تقديم: د. كلوفيس مقصود



كلمات بلا حواجز

الطبعة الاولى - 2009

«كلمات بلا حواجز»

تقديم: د. كلوفيس مقصود

«كلمات بلا حواجز»، عنوان كتاب يشمل مجموعة من افتتاحيات الصديق خالد حميدان - رئيس تحرير وناشر صحيفة «الجالية» في تورنتو - كندا. هذه الاسهامات، التي هي بمثابة تحليلات للأحداث في الوطن العربي منذ مستهل القرن الواحد والعشرين لغاية نهايات 2007، تشكل ذخيرة إعلامية تتسم بالتزام واضح وعمق في التحليل ويتصميم في أن تكون الكلمة مسؤولة والنص بمجمله وسيلة إنارة وإثراء للمعرفة..

هذا التوصيف الذي يميز «كلمات» خالد حميدان كونها في حقيقتها «بلا حواجز» مما يعني أن تلقائية صياغتها نابعة من ثراء التجربة - مهنياً وعقائدياً - وعن سلامة الإحاطة بمسببات ودوافع ما يحدث، وبرغبة ملحة في أن تبقى خاضعة لمقتضيات الأمل رغم أنها تنطوي على عوامل التشاؤم والإحباط. وهذه الرغبة هي تعبير عن ثقة في استقامة الأمة رغم ما تعانيه من القمع والتهميش، وعن كون الاندثار الحاصل هو حالة مؤقتة.. من هذا المنطلق يكتشف القارئ كيف أن الالتزام القوي لدى المؤلف يجعله بمنأى عن الاستقالة رغم سوداوية الحالة الراهنة.

... والحالة الراهنة في مختلف أرجاء الوطن - أكان في فلسطين أو العراق أو لبنان أو غيرها - تحول دون مؤشر يوحى بالتفاؤل. إلا إن في «كلمات بلا حواجز» ما يدخلك إلى فضاء من الأمل كون خلاصة مضمونها أن الحواجز لن تثني الملتزم عن إرادة إخراج الأمة من «المصيدة» التي جعلت الأنظمة السائدة فيها تكاد أن تفقدها الحد الأدنى من المناعة. هذا ما يفسر «بلا حواجز»: أي رفض أن تكون

الحواجز القائمة معطلة للإرادة القومية وحيثاً بوجه ارتقاء الأمة..

* * *

لعل ما هو لافت للنظر هو أن خالد حميدان عندما صمم على تأسيس «الجالية»، أراد منها نقيضاً لفهوم الاغتراب.. أو هكذا اعتقد، كون مضمون الثقافة السياسية التي تنطوي عليها «كلمات بلا حواجز» تشير إلى أن كلمة «الجالية» تنطوي على ديمومة التواصل بين الوطن الأم ووطن الانتماء والاقامة. وهذا المعنى له بنظري مدلولات هامة للغاية خاصة أن عاملي الاقامة والانتماء من شأنهما أن يؤديا في حال غياب أو نقص في عملية التواصل إلى دفع شرعية الاقامة والانتماء ذوباناً وانصهاراً - وهذا لا يعني بأي حال أنه يجب ألا يُعزز الانتماء إلى بلد الاقامة. لا بل على العكس تماماً، فتمكين الانتماء يؤول إلى توسيع آفاق المشاركة والاستفادة، خاصة بالنسبة للأجيال الجديدة. لذلك كان لتسمية الصحيفة أن أعطت الجالية رسالة تجسير ومن ثم قيام ثنائية واعية للمواطنة بحيث يصبح التواصل تمكينا لمزيد من التفاهم وتعزيزاً للعلاقة دون أي انتقاص من جذر الهوية القومية وما تمليه هذه الأخيرة من دفء الاحتضان وضرورة المساندة..

لا أدري إذا كان الصديق الأستاذ خالد حميدان كان يهدف بتسمية صحيفته بـ «الجالية» إلى هذا الدور المطلوب أو أن معرفته لشروط التواصل جعلته واعياً بأن الجالية في كندا ليست «مغتربة» وإن كانت بعض شرائحها تبدو كذلك.. فما يتضمنه كتاب «كلمات بلا حواجز» هو إصرار على استرجاعها إلى الجالية بمعنى كونها آلية التواصل..

أعتقد جازماً أن الجالية العربية إجمالاً في مختلف أرجاء العالم مطالبة في أن تبلور مشاريع واضحة تمكن الوطن الأم من الاستقواء في مواجهة التحديات المتكاثرة، وأن تساهم في تحديد أولويات مشاريع الاستقلال والتنمية ونزع فتيل النزاعات الداخلية الذي يؤثر سلباً على حياة الأمة ويجعلها عرضة لتصدعات إجتماعية وحقلاً للانتهاكات

والتدخلات الأجنبية مما يؤدي إلى تعجيز العرب في توحي توحدهم ونهضة أوطانهم.. يستتبع ذلك أن على الجاليات العربية في مواقع الانتشار أن تكون خميرة لما يجب أن تكون عليه الأوطان الأم لا مرآة لما هو عليه معظمها من تشرذم طائفي ومذهبي وتخلف تنموي وحرمان لممارسات حقوق الانسان.. وإن التواصل المطلوب يجب أن يكون مستداماً لا تعتريه تقطعات موسمية. ويستحضر هذا قيام مؤسسات للجالية العربية - كما هو حاصل في كندا - كذلك في سائر أنحاء العالم، وأن يتم فيما بينها تناسق جدي وملزم للجاليات من خلال تكامل أدوارها والتأكيد على أن دورها في الوطن الأم هو تابع من حقها في المشاركة وأن هذا الدور هو تظهير لتداخل «مرغوب» لا كما يصفه الانعزاليون في الأمة على أنه «تدخل مرفوض». ولعل أول هدف للجاليات العربية في العالم أن تعمل على إلغاء وزارات «المغتربين» كون التواصل هو تعبير عن انغماس طوعي في معاناة وطموحات الشعوب المقيمة..

* * *

في ضوء «كلمات بلا حواجز» تحولت استساغتي إلى قراءة الأدب السياسي والالتزام بمشروع النهضة، وإلى ما أثبتته خالد حميدان من قدرة على الدعوة كما على التقيد بكل الميزات القيادية التي رافقت مضامين ما احتوت عليها النصوص. وهذا ما دفعني إلى أن أتجاوز التعليق الكلاسيكي إلى «تحريض» الجالية - المنبر، كي تحرض بدورها الجالية العربية في كندا لتصبح طليعة التواصل خدمة للوطن الأم ولوطن الانتماء والاقامة على حد سواء.. أما كيف...؟ فإن الرصيد الذي احتوته «كلمات بلا حواجز» والالتزام الذي أبداه «خالد حميدان» كفيلاً بجعل تواصل الجالية في أداء رسالتها متوفراً..